الاخ الدكتور / محمد اشتيه

تحية طيبة

القيادة الفلسطينية والتحديات الاستراتيجية

بعد خمسة عقود من تأسيس المشروع الوطني الفلسطيني المعاصر كانت النتيجة أرض أقل وحق أقل وأمل يتبدد ، بالرغم من التضحيات الجسام للشعب ومعاناته سواء داخل فلسطين أو خارجها ،وبالرغم من الجهود التي بذلتها وما زالت القيادة في عهدي الرئيس ابو عمار ثم الرئيس ابو مازن .

في رأيي يمكن ملامسة الاخطاء أو مواطن الخلل أو أسباب عدم تثمير هذه الجهود والمعاناة والتضحيات بأمور بعضها له علاقة بخصوصية مكونات المشروع الوطني كما تم التعبير عنه في انطلاقته الأولى وما طرأ على هذه المكونات من متغيرات متسارعة ، وأسباب أخرى ذات علاقة بالإستراتيجية الفلسطينية ما بعد اختيار طريق الحل السلمي للصراع . ذلك أن استراتيجية القيادة الفلسطينية وقدرة الاستجابة أو التحدي لديها كانت وما زالت مرتبطة بتوازنات تحالفات خارجية هشة وغير ثابتة ، وبوضع فلسطيني غير خاضع لسيادة فلسطينية .

أولا : على مستوى مفهوم المشروع الوطني ومكوناته الأولى

المشروع الوطني كما تمت صياغته في الميثاق الوطني وفي أدبيات فصائل منظمة التحرير كان متأثرا ومعبرا عن طبيعة مرحلة الستينيات من حيث وجود حالة وطنية صاعدة ومد قومي ثوري عربي ووجود معسكر اشتراكي ومنظومة دول عدم الانحياز ، وعليه كان المشروع الوطني الأول سواء من حيث الهدف – تحرير كل فلسطين – أو وسيلة تحقيقه – الكفاح المسلح – محصلة مشاريع في مشروع واحد : المشروع الوطني والمشروع القومي العربية والمشروع التحرري العالمي ، وكانت مراهنة الفلسطينيين على الحلفاء أكثر من مراهنتهم على انفسهم .

خلال عقدين ونصف حدثت انهيارات زعزعت مرتكزات ومكونات المشروع الوطني من أهمها:-

1. تراجع المشروع القومي العربي بدأ من حرب 1967 ثم توقيع اتفاقية كامب ديفيد إلى حرب الخليج الثانية ،ولم تعد القضية الفلسطينية قضية العرب الأولى .
2. انهيار المعسكر الاشتراكي – الحليف الاستراتيجي للثورة الفلسطينية – ومعه تراجعت منظومة دول عدم الانحياز.
3. انزلاق الثورة الفلسطينية في عدة حروب ومواجهات مع دول عربية كأحداث الأردن 1970 والحرب الأهلية في لبنان 1975- 1982 ،وحرب الخليج الثانية .

كل ذلك أضعف من قوة الثورة الفلسطينية في مواجهة إسرائيل عسكريا ،وبقي الفلسطينيون وحيدون في الميدان ، الأمر الذي كشف الهوة الواسعة بين أهداف المشروع الوطني الأول والممكنات الفلسطينية ،إلا أنه كان مطلوب تدفيع الثورة الفلسطينية الثمن على سياسات وممارسات لم تكن خاطئة تماما بقدر ما كانت محصلة لتحالفات وتوازنات تلك المرحلة . حاولت القيادة الفلسطينية التكيف مع هذه الاختلالات مع الحفاظ على استقلالية القرار الفلسطيني من خلال نهج الواقعية السياسية وإعادة النظر في أهداف النضال الفلسطيني وطرق تحقيقها .

لا نعتقد أن القيادة الفلسطينية في تلك المرحلة ارتكبت أخطاء استراتيجية ،كان عدم ارتكابها سيغير من مسار الاحداث ، لأن ما جرى كان نتيجة متغيرات عربية ودولية وليس نتيجة تقصير فلسطيني . إلا أن ذلك لا يمنع من القول بوجود خلل وأوجه تفصير نمثل تغلغل المال السياسي مما اوجد أشكال من الفساد ،وغياب المحاسبة للفاسدين ،وترهل بنية الفصائل وتمركز السلطة بيد شخص واحد ، بالإضافة إلى عدم حدوث مراجعات استراتيجية بعد كل أزمة مرت بها الثورة الفلسطينية . ومع ذلك كانت لتلك المرحلة حصيلة مهمة وهي استنهاض الحالة الوطنية والاعتراف بمنظمة التحرير ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني في قمة الرباط 1974 والاعتراف بها مراقبا في الأمم المتحدة .

ثانيا : ما بعد 1988 :التسوية وتداعياتها

سادت هذه المرحلة حالة من الإرباك وعدم الوضوح ،و يمكن الإشارة إلى النقاط التالية وهي تتراوح ما بين الأخطاء الاستراتيجية ،والخلل في الإدارة ، وعدم وضوح الرؤية والموقف :

1. القبول بدخول عملية التسوية في مدريد وأوسلو على أساس قراري مجلس الامن 224 و 338 فقط وتجاهل بقية قرارات الشرعية الدولية كقرار التقسيم 181 وقرار حق العودة 194 وعديد القرارات التي تتحدث عن حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني وحقه بمقاومة الاحتلال الخ . وهذا يتعارض مع إعلان قيام الدولة في الجزائر 1988 الذي قَبِل الدخول بعملية التسوية على اساس كل قرارات الشرعية الدولية .
2. القبول بأن تكون المفاوضات تحت رعاية الامم المتحدة وروسيا الاتحادية فقط دون إشراف دولي أو محاولة تشريع الاتفاقية بقرار دولي من مجلس الأمن ،الأمر الذي اسقط عن اتفاقية اوسلو صفة الاتفاقية الدولية .
3. تأجيل قضايا الوضع النهائي وهي قضايا استراتيجية ، مما جعل المفاوضات تشكل غطاء للاستيطان والتهويد في الضفة والقدس .
4. الاعتراف المتبادل كان بين دولة إسرائيل ومنظمة التحرير وكان يفترض أن يكون الاعتراف بإسرائيل مقابل التزام إسرائيل بدولة على حدود 1967 بعد نهاية المفاوضات .
5. القبول بالمفاوضات واستمرارها مع استمرار الاستيطان .
6. استمرار نفس الفريق المفاوض تقريبا واقتصاره على حركة فتح .
7. عدم تحيين فكرة الدولة مباشرة بعد نهاية المرحلة الانتقالية مايو 1999 .
8. المراهنة كليا على الخارج سواء تعلق الأمر بالشرعية الدولية أو الامم المتحدة أو الاعتراف بدولة فلسطينية ،.مع غياب استراتيجية واضحة في التعامل مع الشرعية الدولية ،وماذا بعد الذهاب لمحكمة الجنايات الدولية ؟.
9. إهمال القيادة للشعب بل وعدم الثقة بقدرات الشعب ولو من خلال اشكال من المقاومة السلمية . وهذا ما خلق فجوة ما بين القيادة والشعب لم تستطع الرواتب والإغراءات المالية أن تملأها .
10. تهميش منظمة التحرير الفلسطينية ومؤسساتها سياسيا وماليا لحساب السلطة الوطنية .
11. إضعاف حركة فتح سواء كحركة تحرر وطني أو كحزب سلطة ودولة ،وجعل سقفها السياسي نفس السقف السياسي للسلطة .
12. غياب أو ضعف مؤسسة القيادة وتمركز كل شيء بيد الرئيس ابو مازن .
13. تمركز الرئاسات بيد واحدة – رئاسة الدولة ورئاسة منظمة التحرير ورئاسة السلطة ورئاسة حركة فتح .
14. أصبحت التعيينات في الوظائف العليا تتم في الفترة الاخيرة على اساس الولاء الشخصي للرئيس وليس على الكفاءة أو الولاء للمشروع الوطني الفلسطيني .
15. قوة تأثير نخبة سياسية اقتصادية من خارج حركة فتح ومن خارج المدرسة الوطنية على عملية اتخاذ القرار .
16. استمرار التنسيق الأمني بنفس الوتيرة والضوابط التي كانت في بداية التسوية بالرغم من تنصل إسرائيل من عملية التسوية .
17. إهمال فلسطينيي الخارج مما سمح لحركة حماس بالانتشار بينهم .
18. سوء إدارة ملف الانقسام .
19. إهمال قطاع غزة وتهميشه سواء من خلال ما جرى وقت الانقلاب الحمساوي او بعد ذلك من خلال تهميش وإضعاف تنظيم فتح ، او على مستوى تمثيل غزة في السلك الدبلوماسي وفي المنظمات الدولية وفي الوزارات .
20. خلل في إدارة ملف الخلاف مع محمد دحلان ،وقطع رواتب موظفين على خلفية شبهة علاقتهم بدحلان .
21. عدم الحسم بمستقبل منظمة التحرير وحركة فتح والسلطة ما بعد الرئيس أبو مازن .

لقد تطرقنا لقضايا ومشاكل داخلية نعتقد أنها تؤثر على الخيارات والاستراتيجيات العامة للقيادة لأن نظاما سياسيا وقيادة سياسية ضعيفة داخليا لن تنجح في الانتصار على اعدائها خارجيا .في السياسات الدولية وعلى طاولة المفاوضات لا ينظر المفاوضون لعيون بعضهم بعضا ولا يستمعون لكلمات بعضهم بعضا فقط ، بل ينظر كل منهم إلى ما وراء ظهر الآخر ، إلى جبهته الداخلية وما يملك من قوة ومدى شرعيته وتمثيله ومصداقيته عند شعبه .

وتقبلوا سيادتكم فائق التقدير والاحترام

أ-د/ إبراهيم ابراش